هكذا غنى السندباد

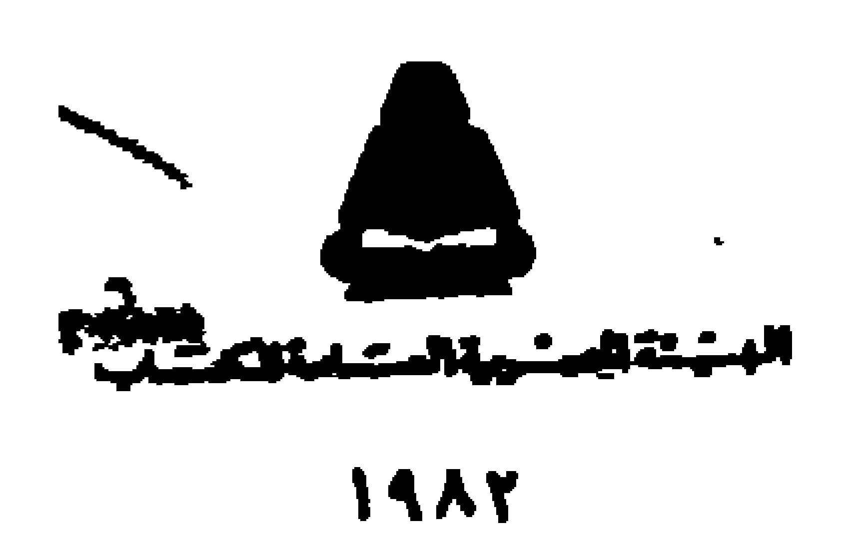
شعر :

عبد المنعم عواد يوسف

هكذا غنى السندباد

شعر

عبد المنعم عواد يوسف



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٢

الإهـــداء

إلى أستاذى

محمد مهدى العسيلى

إجلالاً . .

ووفاء

عبد المنعم عواد يوسف

ترنيمة حب :

فى وداع صلاح عبد الصبور

كان ياما كان أن غنى مغنٍّ لبلادى

واحدًا من شعبنا الطيّب كانْ . .

فى ظلال النيل عاشْ

لم يعش وسْط وصيفات وأضواء قصور . .

لم يكن يوماً من الأيام مولًى لأميرِ

لم يكنْ يملكُ جاهًا ،

لم يكن يكنز مالاً . .

لم يكن يملك إلا فطنة العقل ، وإرهاف الشعورِ

واسمه كان صلاحًا . .

إنه صنّاجة العصر ، مغنِّى جيلنا : عبد الصبور

(١)

كان عذبًا مثل ماء النيل دفاق العطاءْ

وسخيا فى زمانٍ لم تعد أشجاره تثمر شيئا من سخاءْ

ونديًّا كصلاة الفجر ، كالأنسام ، كالأملاك طهرًا ونقاءْ

كان شمساً تدفئ الروح ،تضيء القلب ،تزجى الحبَّ نورًا . .

فى قلوب الأصدقاءْ

كان صفو الأصفياءْ

كان يلقانا بشوش الوجه ، سمح النفس ، نبعا من صفاءْ

فى عناق طيِّب ، يقطر ودًّا :

أيها الراحل ، ما أسخاك ! كم كنت ودوداً فى اللقاءْ !

ياصلاح الدين ياعبد الصبورْ . .

ياعميد الشعراءْ

(٢)

ياحكيمًا فى زمان قلّ فيه الحكماء

واستطال الأدعياءْ

هذه الحكمة ، من أىّ معينٍ رائقٍ جئت بها ؟

من أىّ نبع طيب هذا الصفاءْ ؟

أى كرم شامخ ،قطّرت من ذوْب جناه البكر تلك الخمرَ ؟

فى أىّ قباء رائع عتقتها ؟

نشوة الروح ، رحيق الفكر ، عطر القلب ، همس النفس ،

سرّ البوْح ، فيض الوجد ، موسيقى سماءْ

حكمة كانت لنا فيض ضياءْ

ياصلاح الدين ، ياعبد الصبور . .

يا أرقّ الحكماءْ

يا صلاح الدين ، ياعبد الصبور . .

يا منار الشرفاءْ

يا صلاح الدين يا عبد الصبور . .
يا وحيد الشعراءْ

(٣)

أيها الراحل عنّا قبل أن نشبع منكْ . .
قبل ميعاد رحيلكْ . .

كيف تمضى تاركاً خلفك صفًّا من أبر الأوفياءْ
كلهم يفديك بالروح ، وياطيب الفداءْ !
كلهم يرنو إليك . .
أنت يا حامل همِّ الشعراءْ
من لنا بعدكَ ؟
كنتَ الدرع ، كنت السيف ، كنت الظلَّ ، كنت الدفء . .
فى برد ليالى الرفقاءْ
من يصدُّ الويل عنا ، من سيحمينا ؟

وقد كنت الأخ الحانى . .

لنا ، نحن جميع الشعراءْ

يا صلاح الدين ، يا عبد الصبور . .

يا حبيبَ البسطاءْ

يا صلاح الدين يا عبد الصبورْ . .

يا فريد الشعراءْ

(٤)

فى زمان قلَّ فيه الشعر ، غاب الشعراءْ

عشت فيه الرمزَ أن الشعر مازالَ . .

وما انبتَّ له فى هذه الدنيا عطاءْ

كنت فردًا . .

أمة فيها من الشعر كنوزٌ ، بعضها يكفى جميع الشعراءْ

أيها النهر الذى من فيضه العذب اغترفنا ، وارتوينا . .

وسقينا زهرنا من مائه الثرِّ ،

وغنّينا على شطآنه الفيحاء ،

غنّينا ، فلم نحسنْ كما أحسن فى الشعر الغناءْ

إننا كنا جميعا شعراءْ

بينما كنت أمير الشعراءْ

يا صلاح الدين ، يا عبد الصبورْ . .

يا عميد الشعراءْ

اشراقة

تعاتبني ، تقولُ : لقد هتكت السرَّ ،

لا وجلالِ أنوارِكْ . .

فمنذ شرُفتُ باللقيا ، ومنذ حللتُ فى داركْ . .

وهذى النشوة الكبرى تلازمنى ، تحاصرنى ،

تسدُّ مسالك الكلمات فى حلقى ،

فلا أقوى على نطقٍ ،

وفى أعماق أعماقى تردّد همسُ أذكاركْ . .

تقولُ : وكيف قد عرفوا بما قد كان من لُقيا ،

بما أتحفتنى من فيضِ أسراركْ ؟

أقول الحقَّ ، لم أنطق بحرف يهتك الأَسرارَ ،

لكنْ ربما نظروا إلى عينى ،

فإن هناك ياذخرى قد انطبعت ،

ومنذ شرُفت باللقيا ، خطوط من سنا الإشراق ،

تعزف صورة أحلى من الأحلى ،

وأسنى من سنا الأسنى ،

وذلك بعضُ أنواركْ . .

ويسألنى ضعاف مدارك الإبصارِ ،

حين يرونى بالصمتِ ملتحفا ،

أهيم بنشوة اللقيَا :

لماذا هكذا أنتا ؟

أتحيا العمر منفردًا ،

فلا خلانَ ، لا أصحابَ ، لاندمان ، لاسُقيا ؟

وأضحك من قصور رؤاهمو ،

ما أضيع الإنسانَ حين تغيب عن آفاقه إشراقةُ الرؤيا !

وفى أعماق أعماق تفجّر نوركم وَحْيا . .

وأحضنُ طيفك المحبوب ،

تغمرنى لطائف هذه اللقيا ..

وأكتم سرًّ ما ألقاه ، حتى أستديم حلاوة اللقيا ..

وأهمس فى عيون القوم :

كيف يعيش منفردًا فؤادٌ فى رحاب ضيائكم يحيا ؟

« ١٩٨٠ »

ثلاثيات :

لاتخلو من حكمة !!

لأنّ فى زماننا يشمخُ عاطلُ الشجرْ .

وتستطيل سدرة تسامقت ، بلاثمرْ

أضحك من بلاهتى حين أدبّج الدررْ

* * *

من يشترى فراستى بحفنةٍ من العماءْ

أبيعه الذكاء كله لقاء قبضة من الغباء

وبعد عام نلتقى لكى نرى أكثرنا ذكاء

* * *

أطيب شىء فى زماننا يا سادتى : هو الخمولْ

ننام هانئين لا يشغلنا ما يشغل العقول

وحينما نصحو نقول مثلما من لم ينَمْ يقول . .

* * *

لمّا وجدت الكلّ فى هذا الزمان يرتدى القناعْ

فلم نعُدْ نعرف مَنْ جباننا أو الشجاعْ

تنكُّرِى أصبح أننى أمشى بلا قناع . .

* * *

كسرتُ رمحى حينما وجدت فى هذا الوجود من يناجزون بالكلامْ

ما حاجتى إلى الحسام ؟

وكلمة واحدة توردنى موارد الموت الزؤام

* * *

الحقّ صار سلعة رديئة ، فى السوقِ ، لا تباعْ

والباطل المزهوّ فى هذا الزمان أصبح البناء والأساس والنخاع .

وصاحبى الأبله ما يزال طامعا فى أن يغيِّرَ الأوضاع

* * *

تثاءبوا ، ولم يزل خطيبنا يثرثرُ

وانصرفوا ، ولم يزل ، مستغرقا ، يثرثرُ

متى متى يا سيدى الخطيب بالذى جرى ستشعرُ ؟

* * *

كلٌّ صباحٍ لجنةٌ ، كلٌّ مساء مؤتمر

ولم تزل قضيتى تحتاج ألف مؤتمر

أهمُّها هذا الذى يعلنُ أنَّا لم نَعُدْ فى حاجةٍ لمؤتمر

* * *

العنكبوت لم يمت ، فى الركن ألف عنكبوتْ

العنكبوت فى العقول ساكن ، لا فى البيوت

وبعد هذا يسألون :كيف ألف واحدٍ فى كل لحظة يموت

* * *

لا قوْلَ بعد اليوم ، كلُّ ما نقوله هدرْ . .

لا شعر بعد اليوم ، كلُّ ما نشدو به ، من قبلْ قد شُعِرْ

نعود للكلام حينما يصبح للكلام فى حياتنا أثر

* * *

معذرةً يا سادتى ، وألف ألفِ معذرهْ

فقد صَدَعْت رأسكم ، بكلِّ تلك الثرثرهْ

ثرثرة من أجْلها أسأل ربِّى المغفرهْ

* * *

« ١٩٨٠ م »

أوجه الحب

(١)

حبيبتى تقبل فى الصباحْ

منحسرا عن وجهها الوشاح . .

عيونها يغمرها السماح . .

تقرئنى تحية رقيقه

بهمسة حالمة رشيقه . .

تقول لى ، والسحر فى لغاها . .

مقالة يغمرنى صداها . .

« نعمت بالصباح يا حبيبى

« بعيشك المنضر الرطيبِ »

ومثلما قد أقبلت تغيبْ . .

بِسَمْتها الموقر المهيب . .

من بعد ما قد أنبتت حنانا

وخلّفت فى أضلعى الأمانا

* * *

حبيبتى ، يا زهرة الصباحْ . .

يا حلوتى ، يازفرة ارتياحِ . .

أنا على الوداد ما أزال . .

مع الصباح أرقب الوصال . .

فلْتقبلى فى الموعد السعيد . .

فإننى أولد من جديد

مع انطلاق الصبح فى البكور . .

وهكذا على مدى العصور . .

* * *

(٢)

حبيبتى تقبل فى الظهيرهْ . .

ومن شعاع الشمس فى صباها قد عقدت فى شعرها ضفيرهْ . .

أقول : « يا حبيبتى الصغيرهْ . .

« سلمت لى ، ياوردتى النضيرهْ . .

« جميلة مازلت كالربيع . .

« ولم تزل طلعتك المثيره » . .

تضحك بعد أن تهمس بالسلام . .

يلطِّف الوجود كالغمام . .

تقول لى : « مازلت يا صديقى تبرع فى صناعة الكلام . .

لكننى لم أصبح الصغيره . .

تبهر ها العبارة الكبيره » . .

أضحك كالأطفال فى انتشاء . .

وصوتها فى مسمعى غناء . .

أقول : «يا عصفورتى الصغيره ..

« فلتكبرى ما شئت ، لن تكونى فى العين غير طفلة صغيره .. »

حبيبتى تضحك فى براءةْ . .

وخافقى يواصل انتشاءهْ . .

ومثلما قد أقبلت تعود . .

وقد سرى العبير فى الوجود . .

* * *

(٣)

وحينما يغلبنى الدوارْ . .

أنام بعض الوقت بالنهار . .

توقظنى بلمسة حانيةٍ ، فافتح العينين فى انبهار . .

أبصرها بجانب الفراش . .

فيفعم الفؤاد الانتعاش . .

« متى متى أتيتِ ؟

« وكيف قد فتحت باب بيتى ؟ »

وكالنسيم يقبل الجواب :

« الروح ليس تعرف الأبواب »

هنيهة ، وبعدها تغيب . .

كما أتت حبيبتى تغيب . .

ويختفى أريجها الحبيب . .

تغيب كالأطياف فى سكون . .

وفى العميق من كهوف ذاتى . .

قد أشعلت خوامد اللهيب . .

* * *

(٤)

وحينما يودّع النهار . .

ويغمر الوجود الاصفرار . .



وتكتسى الحياة بالنضار . .

وتزدهى ذوائب الأشجار . .

بحلة من الذهبْ . .

أحس رغم ذلك الجمال . .

بأننى علانىَ اكتهال . .

و حينما تجيئنى حبيبتى أهمّ أن أضمّها إلىّ . .

لكننى أخاف . .

فربما تحوّلت عروسة من الذهبْ . .

إذا أنا لمستها . .

ومثل ميداسٍ أصير . .

وإننى حبيبتى ، قد عشت أكره الذهبْ . .

« حبيبتى ، مليكتى ، لا تقبلى مع الأصيل . .

« حتى يظل حلمنا الجميل . .

« حتى يظل حلمنا الجميل . .

* * *

(٥)

وحينما يأتلق الشفق . .

وتختفى عروسة السماء . .

هناك فى غياهب الأفق . .

ويكتسى الوجود بالشحوب

تجيئنى بوجهها الحبيب . .

وومضة الحياة فى عينيها ، تنير من جهامة الغروب . .

تقول لى :

« لا بأس يا حبيبى . .

« إن يجنح الضياء للمغيب . .

« ففى غدٍ تعاود الحياة دورتها الدءوب من جديد » . .

وبعدها حبيبتى تتركنى ، وفى الضلوع أورق الأملْ . .

تتركنى حبيبتى وتمضى . .

وعطرها فى النفس لم يزلْ . .

* * *

(٦)

وعندما يخيمّ السكون . .

ويغمر الظلام كل شيء ، بظله ، بحسه البليدْ . .

وفى السماء ألف ألف عينٍ ترمقنى من كونها البعيد . .

والليل لفَّ كلّ ما يحيط بى بصمته المروِّع المديد . .

وتمرح الأشباح فى انطلاق ، لأننى فى غرفتى وحيد .

تجيئنى من عالم الأحلام . .

ونورها يشرق فى الدياجى ، فتنمحى جحافل الظلام . .

تقول لى :

« لا ترهب الظلاما . .

« فكل ليل بعده صباح » . .

وبعدها تقرئنى السلاما . .

وتختفى ، وتختفى الأشباح . .

« ١٩٧٦ »

النسر والبغاث

أسلمتنى لهم . .

ألقيتنى من قمتى الشماء بينهم . .

مجموعة الذئاب والغربان والثعالب المشوهه ..

نسراً مهشم الجناح قد حططت . .

يلفحنى سعارهم . .

أنا الذى كنت إذا زجرتهم . .

فروا كما النعام ، واحتموا بجبنهم . .

أتسمعين . .

أنت التى بذلتنى لهم . .

* * *

ماذا تقول الشاة للسكين . .

ماذا يقول الأزغب الطعين . .

لا شيء . .

لاشيء غير الصمت فى العيون . .

أنت التى أسلمتنى لهم . .

أنت التى نزعت منى مخلب النسور . .

أنت التى ألقيتنى كالفأر بينهم . .

تواقه الطيور .

تأكلنى عيونهم . .

يلفحنى سعارهم . .

أتسمعين . .

أنت التى بذلتنى لهم . .

* * *

لكننى . .

برغم كل شيء . .

أبقى أنا . .

وهم همو . .

النسر لايكون غير نسر . .

والفأر لايكون غير فأر . .

ورغم أنني ملقى على الثرى . .

مهشما ، مهشما . .

ورغم سقطتي على التراب . .

مثخنا محطما . . .

فلم أزل أنا . .

النسر لايزال قابعا بداخلي . .

لايخدعنكم دبيب الضعف ،

في مفاصلي . .

فلم أزل أنا . .

الليث لايزال راقدا بأضلعي . .

تذكروا . .

ياحفنة الذئاب والغربان والثعالب المشوهه . .

تذكروا . .

ستهربون لو سمعتم صيحتى . .

لكنما تضيع فى الأعماق صرختى . .

ياويلتى . .

ياويلة النسر الذى قد أسلموه للبغاث . .

يأكله سعارهم . .

أنت التى أسلمته لهم . .

أتسمعين . .

أنت التى بذلتنى لهم . .

* * *

(٣٠ / ٣ / ١٩٧٠)

في ملكوت الليل ..

هأنذا ..

وحدى فى ملكوت الليل ..

أشرب كأساً لم يشربها أحدٌ قبلى ..

أركب متنَ الضوء الأزرق ..

وحدى فى ملكوت الليل ..

* * *

وحدى فى ملكوت الليل ..

لا يتنفس أحدٌ غيرى كلَّ صفاء الكون الساحرْ .

لايتأمل أحد غيرى كلَّ ضياء البدر الغامرْ ..

وحدى فى ملكوت الليل ..

* * *

غطُّوا فى أعماق النوم . .

غوصوا ، يا عشاق النوم . .

ولتدعونى وحدى فى ملكوت الليل . .

* * *

هاأنذا فوق جواد الليل الأشهب . .

أعلو صهوته الشماء . .

هيا هيا . . ركضاً خلف النجم الشارد . .

مرحى مرحى .. يا لله . .

أدركناه

مرحى ، مرحى . .

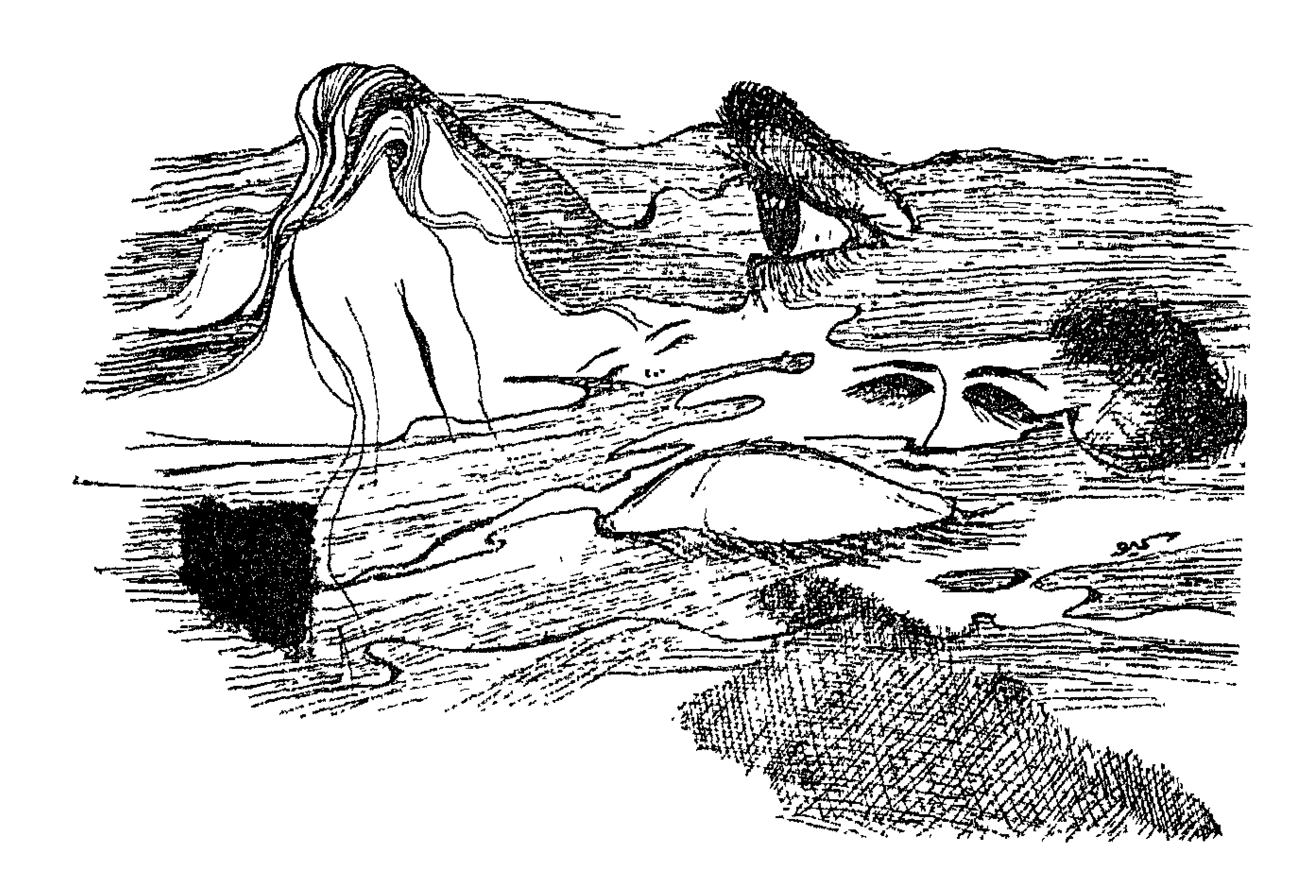
* * *

دعنى أسرع خلف فتاة الأفق النائى . .

دعنى أسرح فى ملكوتى . .

يالؤلؤة عشت حياتى أتمناها . .

كى أرشفها فوق جبين فتاتى الناصع . .



لا تحرمى هذا الشرف الأكبر . .

ما أروع أن تعلو هذا الأفق الأعظم ..

* * *

غطوا فى أعماق النوم . .

غوصوا ، يا عشاق النوم . .

ولتدعونى ، أترقبها . .

تقبل نحوى تحت ستار الليل الساكن . .

تركب مركبة من ضوء . .

ضوء يعلو مَتْنَ الضوء . .

يُذْهِبُ كل ظلام الكون الداكن . .

تطلعُ شمسًا من أعماقِ الليل . .

يازنبقتى . .

غيبى إلا عن عينىّ . .

ولتتخفِّى حين طلوعك كلَّ مساء . .

كى لايلمحك الغوغاء . .

« ١٩٦٩ م »

عودة الشاعر

رجعتُ . .

فألفيت كل الرفاق ، كما قد تركتهمو . .

لم يغب واحدُ

وحينَ وجدتهمو ينظرون ،

عيونهمو أنشبت كالأظافر ، تلتهم الوجه فى قسوةٍ . .

تساءلت فى حيرة :

« أما ذاك وجهى الذى تعرفون ؟ . .

« أم تُرى قد تغيّر يا إخوتى ؟ »

ويهتف من بينهم واحدٌ . .

ــ أيكذبُ ؟ ! ــ

« بل أنت من نعرفه . .

« فمازلت كالأمس ، لا ، ما تغيرتَ . .

«فمازلت ـ كالعهد ـ تخفق بشراً . .

« وعيناك مازالتا تنبضان ، تحيلان أيامنا القفر شعراً » . .

ويعلو على صوته صوتهم . .

صوت كل الرفاقِ :

« كذبتَ »

« فهذا الذى قد عرفناه بالأمس مات . .

« وهذا الذى لم يزل ماثلا ليس إلا رفات . .

« ألا تبصر الموت فى نظرته ؟ . .

« ألا تسمع الجدب فى نبرته ؟ » . .

* * *

ترى يصدقون . .

فيا للأسى إن يكن قولهم فيه بعض الحقيقة ! ! . .

* * *

وحولت وجهى إلى حيث كنتُ . .

رجعتُ . .

وحتى التحية ماقلتها ، فما كان بالنفس شيء يقال . .

فياليتنى لم أعد للرفاق . .

أجل ليتنى ، إنهم شوهوا جثتى . .

لقد وأدوا فرحتى . .

فياليتنى لم أعد . .

ليتنى لم أعد . .

* * *

أبعد التشرد عبر البقاع . .

وبعد التغرب ، بعد الضياع . .

أعود إليهم . .

إلى بيتنا . .

فأشعر أنى غريب غريب ؟ !

وما من صديق ، وما من حبيب . .

فياليتنى لم أعد . .

ليتنى لم أعد . .

ليتنى لم أعد . .

« ١٩٧٠ م »



رسالة منها

ما أشبه حالينا بشريدين على طرفى صحراء . .

يتشعب فى عينى الدرب . . —

يتشعب فى عينيك الدرب . .

يتمنى كل منا أن يعثر بالآخر . .

كى يحمل عنه سطوة هذا الحب . .

لكن واأسفاه ! ! . .

ماذا نصنع والصحراء . .

تمتد بحارا لا يدركها الحد ؟ . .

* * *

تُهنا فى زحمة تلك الأيام المجنونة . .

صرفتنا عن وجهتنا أشياء تافهة جوفاء . .

شغلتنا ، حتى عن أنفسنا ، طحنتنا تلك الأشياء . .

درنا فى دوّامتها الملعونة . .

حتى ما عدنا أنفسنا . .

حتى أصبحنا إنسانين غريبين . .

واليوم تنبهنا . .

لكن واأسفاه ، بعد ضياع فى وديان التيه . .

بعد فوات الوقت . .

* * *

يا أملا سلبته الأيام . .

ألقته بعيدا فى قلب الصحراء . .

فى بيداء العمر القاحل . .

ماذا فى وسعى أن أصنع ؟ . .

ماذا فى وسعك أن تصنع ؟ . .

أأعلم أن اللهفة فى نفسك مثل اللهفة فى نفسى . . . .

أعلم أن مرارة كأسك نفس مرارة كأسى . .
أعلم أنك تتحرق شوقا للقائى مثل تحرق قلبى للقائك
نفس الرغبة ، نفس الحرمان . .
لكن ماذا نصنع والأيام الرعناء . .
ألقتنا كشريدين على طرفى صحراء . .

* * *

لو أنى أعلم أنك تسلو ، كنت سلوت . .
لو أنى أعلم أنك تجفو . كنت جفوت . .
لكن ما يفزعنى أنك لن تنسانى . .
وستبقى عمرك تبحث عنى . كى تلقانى . .
لكن هل تلقانى . .

* * *

أبذل عمرى كله . .
من أجل سويعة حبٍّ ، يقضيها قلبى قربك . .
يامن تحمل حبك . .

وتسير تفتش عنى . .

هأنذا أحمل حبي ، وأسير أفتش عنك

أترى يرشدنى قلبي ، فأجيئك يوما ما ؟ . .

أم نبقى محصورين بدائرة الحرمان ؟

* * *

يا للأيام الملعونة ! ! . .

أخذتنا ، رغما عنا ، دوامتها المجنونة . .

ألقتنا كشر يدين على طرف صحراء . .

* * *

لكن عزائى أنى أومن أنا فى يوم ، يا أملى ، ملتقيان . .

مهما طال الحرمان . .

مهما طال الحرمان .

ياليتك تؤمن مثلى ، حتى ننجو من وحش . .

غول يدعى « النسيان » . .

« ١٩٧٠ م »

من كتاب
« الشيخ نصر الدين »

وجاء الشيخ نصر الدين ، جاء إلى فى الغربة :

يا لله ، كم ذا قد تعبت أبى ،

تكبدت العذاب إذن ، لتبصر واحدا من جملة الأبناء

« لا يا طفلى الطيب ، لا تعب على الأرواح . .

« نسير نسير ، لا نتعب

« نسير نسير ، لا نجهد

« لأن الروح ، لا تجهد »

* * *

جلست إليه ، انهل من منابعه .

فمد إلى كأس الحكمة المترع ،

« ألا فليشرب الظمآن » . .

* * *

« بنى ، بنى فى الغربة لا تكثر من الأصحاب

« يضيع السر بينهم ،

« ونحن نعيش بالأسرار . .

« يعيش السر بالكتمان . .

« إذا ما ذاع بين اثنين مات السر ،

« وأصبح فى مهب الريح ، جثته

« فعش وحدك ، يحى السر فى صدرك

« ينير السر كهف القلب

« يرف ، يرف بالأنوار . .

« ألا فاحرص على سرك . .

« ألا فاحرص على سرك »

صدقت ، صدقت يا شيخى إلى بجرعة أخرى . .

* * *

وحقا لم يعد فى الدن ، ياولدى ، سوى جرعة

إليك بها . .

« وفى الغربة ، لا تشغل بأمر الناس أفكارك ،

« وكن نفسك . .

« حذار ، حذار أن تنصر مظلوما على ظالم ،

« ففى الغربة ، لاندرى ، من المظلوم والظالم . .

« فكن نفسك ، والزم دائما دارك »

* * *

« ١٩٧٠ م »

أنا .. وحبيبتى .. والسحر !!

وأقبل السَّحرْ . .

فانتشت نسائر البكورْ . .

ورقرقت أريجها العطر . .

وردّدت جوانب الأُفق . .

أَصداء لحن طائرين بكّرا . .

فاستنشقا الهواء رائقًا معطَّرا . .

يفيض من قارورةِ السَّحَرْ . .

* * *

وأقبلت حبيبتى ، وقد علا جبينها الخفر . .

وكنت قد قضيت ليلتى أُعانق السهرْ . .

ودون همسة حبيبتى مدّت إلى يدى يدا . .

ومثل طيفٍ حالم قادت خطاى نحو باب غرفتى . .

ومثل نائم مضيت خارجا ، حبيبتى معى . .

وحينما وجدتنى فى ذلك الكون الرمادى الشفيف . .

أعانق السكون ، لاهمسٌ سوى الحفيف . .

ولم تزل حبيبتى معى . .

شعرت أننى حى بُعثت من جديد . .

أحسست شيئا غامضا يشيع ملء أضلعى . .

كأنه الصفاء . .

أو كأنه النقاء . .

أو كأنه الضياء . .

أو كأنه الحياة نفسها . .

وابتسمت حبيبتى . .

وفوق وجهها قد أسدلت غلالة مِن الخفر . .

ودون كلمة مضت . .

وخلّفتنى مفردًا مع السَّحَر . .

« ١٩٧٩ م »

قمر الزمان والعملاق
أو
من ينقذ بدر البدور ؟

(١)

أَلئنَّ عملاقًا هناك.. يلوح فى أقصى الطريق . .

تخافُ يا قمر الزمانْ ؟

وتفرُّ يا قمر الزمانْ ؟

ما كنتُ أَحسبُ أَنَّ فيك ، هناكَ ، يستخفى جبانْ . .

والمجد . . ياقمر الزمان ؟ . .

والعزُّ . . ياقمر الزمان ؟ . .

ونضال آلاف الجدود ؟ . .

من أَجل بعثك للوجود ؟

من أجل يومك أنت ، من ماضى الزمان ؟ ! . .

* * *

لاكنتَ . . ياقمر الزمان !

لا كنت ، لا ، لا . . يا جبان !

أفيخطف العملاق منك عروسة كالبدر فى ليل التمامْ ؟

زين الحسان . .

أسطورة ، تُروى على مر الزمان

كالكونِ ، فى إشراقة الصبح النضير

كالزهر ، ينضح بالبشاشة والعبير

كالورد ، يرقص فوق أمواه الغدير

حلم الحياة . .

نغم تردده الشفاه . .

ياويلها . . إذْ أسلمت يدك المصير

فتركتها ، وعدوتَ لما قد لمحتَ الغول يقبل من بعيد

يعوى ، فتنهدم الصخور . .

عيناه ، مِلؤهما وعيد . .

والهول والبأْس الشديد . .

مسكينة بدر البدور ! !

فى قبضة العملاق أنتِ ، ولانصير . .

وحبيبك المغوار ، يبحث فى الصخور . .

عن حفرة تخفيه حتى ما يغيب . .

عن حفرة تحميه من هذا المصير . .

من قبضة العملاق ، والأَسر الرهيب

* * *

(٢)

« قلبي حزين . .

« قلبي حزين . .

« يا إخوتى ، قلبي حزين . .

« دامٍ ، يمزقه الأَنين

« سيظلُّ ينزف هكذا ، يبكيك يا بدر البدور . .

« طول السنين

« يبكيك ، يا أملى الطعين . .

« يا أنتِ ، يا أنشودة الناى الحزين . .

« يا أنتِ ، يا أمل الشباب . .

« يا نبع نورٍ ، لاح فى أفقى ، وغاب . .

« يا نبع نور . .

« أختاه . . يا بدر البدور . .

« أملى الحبيب . .

« يا بسمة العمر الجديد

« لم هكذا خلّفتنى . .

« وتركتنى . .

« أحيا بلا أمل . . كما يحيا الغريب ؟

« سأظل عمرى هكذا ، أبكيك يا أملى الطعين . . »

« أبكيك ، من قلبى الحزين

« يا إخوتى ، قلبى حزين »

* * *

(٣)

لِتَسِلْ على الأَرض الدموع . .

ولْتنصهرْ من حرّها كلُّ الضلوع . .

وَلْتنطفئ كلُّ الشموع

لكنْ ، أترجعُ كلُّ أنهار الدموع . .

بدر البدور . .

لا الدمع يرجعها ، ولاالناى الحزين

عذِّبْ فؤادك بالأَنين . .

واصرخ على الأَرض الضياع . .

من كلِّ قلبك ، من حنينك ، منَ أسَاك . .

واحشدْ جموع العاشقين . .

كلِّ الضعاف الخائرين

ولتصرخوا من هول أيام الضياع . .

من ثورة الحرمان فى الأرض الخراب . .

حسبنا رفاق الطيبين . .

ابكوا كما شاءت قلوبكمو ، كما شاء الحنين . .

ثم انظروا : ماذا جنيتم يارفاق ؟ . .

لا شيء غير صدى حزين . .

لنحيبكم ينساب فى الأرض الخراب . .

أرض العذاب . .

وهناك فى قصر رهيب . .

قصر يقوم ببابه ، كالطود ، عملاق كئيب . .

بدر البدور . .

تحيا هناك . .

وتظل تحلم بالفكاك . .

من أسر عملاق رهيب

يا رفقتى ، لاالدمع يرجعها ولا هذا النحيب

لا شيء يرجعها سوى هول الصراع ..

أسمعت يا قمر الزمان ؟

فاطرح جمودك وانطلق عبر القفار ..

واذهب إليه هناك فى عزم شديد ..

حتى إذا فرغ الصراع

ستعود منتصرا بها .. فترى هنا ، فى القفر ، فى الأرض الضياع ..

طلعت لأجلك روضة ملأى بأزهار نضيره ..

كالحب فى عينىْ صغيرهْ ..

فتحت لأحلام الهوى أبواب عالمها الرحيب ..

من أجل فارسها الحبيب ..

* * *

(٤)

« أأروح وحدى كى أموتَ ، أغيبَ فى فجر الشباب ..

« فى كهف عملاق رهيب ..

« العمر ليلٌ كله ، لا ، لا صباح ..

« وفّر حديثك ، ما الذى يجدى السلاح ؟ . .

« والغول عملاق رهيب

« سأظلُّ وحدى هاهنا ، أبكيك يا بدر البدور . .

« وهناك ما بين القبور . .

« سأُقيم لحدًا أبيضًا لك يا حبيبهْ

« وبرأْسه ، حسنا ، سأَنصب شاهدًا . .

« وعليه بالخطّ البديع . .

« سأَخطُّ سطرًا من دموع . .

رقدت هنا فى ذات يوم من ربيع

[لا شىء فيه من الربيع

[أختى الحبيبة . .

[بدر البدور]

* * *

(٥)

حاشية

وبعدُ يا صديقتى . .

فتلك قصة قديمة

قرأتها فى واحد من الكتب . .

سفرٍ قديم أصفرٍ وجدته فى درج جَدِّى . .

ـ رحمة الله عليه ـ

وكان جدّى ـ رحمة الله عليه ـ . .

هكذا يحكون عنه . .

عندما يقرؤها تجرى دموعه

صديقتى : أتضحكين ؟

إذن لماذا كان جدى ـ رحمة الله عليه ـ . .

ينثر الدموع . .

ويظهر الخشوع . .

وينثنى متمتما بصوته الهلوع :

مسكين يا قمر ! ! . .

مسكين يا قمر ! ! . .

صديقتى : تغير الزمان . .

* * *

الخروج من وادى الموت

(١)

لماذا يدلف الأحياء من بوابة الموت الرخاميه . .
إلى واد ، بلا أشجار . .
بلا عشب ، بلا أزهار . .
ونبقى ثم منحصرين بين مجاهل التيه السديميه . .
نعانق وحشة الصمت الخرافيه . .
ونأكل من خشاش الأرض . .
هذا ، ما وجدناه . .
ومن حين إلى حين . .
نغني غنوة اليأس الجليديه . .

– ٢ –

أحدثكم . .

على أن تكتموا ما سوف أذكره . .

حذار حذار أن تحكوه للناس . .

لكيلا تبذروا فيهم بذور الشك واليأس .

أقول لكم . .

رأيت هناك إيزوريس مصلوبا على صخره . .

وعيناه مفتحتان . .

بوادى الموت كان هناك مصلوبا على صخره . .

لم يك فيهما خضره . .

ولم تك تنبت الأزهار فى ساقيه . .

لم تتفجر النضره . .

أجل ، ما كان غير الشعر . .

شعر أسود قاتم . .

بلون الليل ، لون اللعنة السوداء . .

ومثل القبر ، كان الثغر ، كالحفره . .

وكان بقربه الغربان والبوم . .

تؤلف جوقة مشدوخة الألحان ، نواحه . .

ولم يك ثمَّ بين ملامح الوجه الذى قد كان ،

يوما ما يجلله سنا الإشراق ،

ما يوحى بلون حياته الأولى

وغير البسمة البلهاء لم ألمح . .

* * *

-٣-

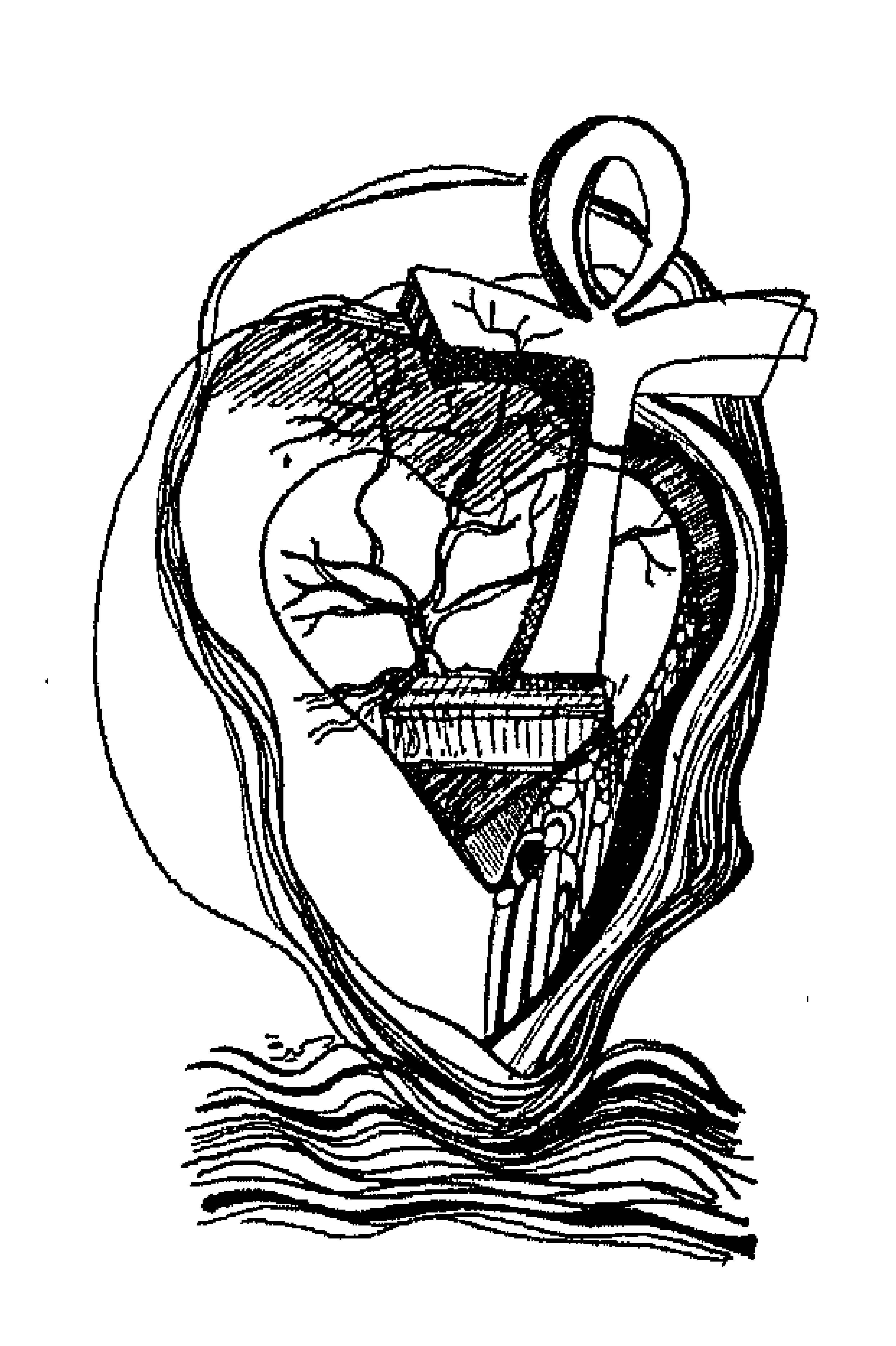
أسائلكم . .

أنحن هنا من الأحياء ؟ . .

أم صرنا من الموتى . .

فإن كنتم من الأموات معدودين . .

فلتبقوا مع الأموات . .



ولتتجرعوا الصمتا . .

وإن كنتم من الأحياء . .

هيا حطموا الأسوار وانطلقوا ..

إلى كون يعانقه الصباح الحلو والألقُ . .

وخلوا وادى الموت . .

يغط بجوفه الأموات ، وانطلقوا . .

أجل ، فلتفلتوا من هذه الأسوار ،

واخترقوا . .

حدودًا ليس يعرفها سوى الأموات

وانطلقوا . .

ألا انطلقوا . .

ألا انطلقوا . .

يباركُكم شروق الشمس والأفقُ . .

* * *

«٢٧/ ١٠/١٩٦٩م»

صوتك يا حبيبتى

وبهل صوتك نابضا بالحب ، دفاق الحنان . .

السحر كان . . م

الغيث كان . .

فأنماع فى صدرى الأمان . .

يا صوتها ، صوت من أهوى . .

سلمت على الزمان . .

يا مبعث النغم الحنون ، وذوب هدهدة الكمان . .

أنا مذ عبرت النفس ، منتشيا أعيش ،

كأنني أحيا بأروقة الجنان . .

* * *

ويجيء صوتك من بعيد . .
فسكرت من خمر النشيد . .
وسكت آونة ، لأنعم بالمزيد . .
من سحر هذا الصوت ، من ترنيمة النغم الفريد

* * *

هل كان صوتك ذاك ، أم نبعا من السحر الحلال ،
ينساب فى نفسى ،
كما تنساب فى أعماق ظمآن شآبيب من الماء الزلال
والقلب يخفق ما يزال . .
لما أحس الصوت ، صوتك أنت يأتى من بعيد . .
فكأنه أحلى نشيد . .
وأخذت أصغى ، أستعيد . .
أتجرع الصوت الحبيب . .
فى نشوة أصغى إلى أشهى نغم . .
ويغيب من قلبى الألم . .
فكأن صوتك بلسم ، للنفس كان ، وما يزال . .
(١٩٧٨ م)

تساؤلات لامعنى لها

(١)

خبأت الأمل بعين الشمس
وبثثت حواليه الحراس
سورا منتصبا من أحلام
كى لا يسرقه حين أنـــام
ويفر بعيدا طير المـــــوت .

من أرشد طــير الموت إليه ؟
من سمل الفرحة فى عينيه
من ذبحت هـــذا الحلم يداه ؟

من قص جناحيه وأرداه ؟

من عتم في الأعماق رؤاه ؟

من غرس بصدرى نبتة آه ؟

من حصد الفرحة والأحلام ؟

آه يا خونة ، يا أقزام

آه يا خونة ، يا أقزام

– ٢ –

أحيانا أسأل نفسى همسا

كى لا يسمعنى عسس الليل المبثوثون بكل مكان

المنزرعون على الجدران

فى هيئة أحداق ، أذان

من يزرع وردا يحصد وردا . .

من يغرس فلا يجمع فلا . .

لكن ما بال الناس الآن

لا تحصد غير الصبارات ؟

من يقبل تحت ستار الليل ويسرق أزهار البستان ؟

من يقبل تحت ستار الليل ويزرع أشجار الصبار ؟

من منكم ، يا أبناء العار ؟

من منكم ، يا أبناء العار ؟

(٣)

أتساءل : هل من حقى أن أتكلم ، أم من حقى الصمت ؟

الحق ؟

وماذا تعنى كلمة حق ؟

حقى ، أم حقك ، أم حق الخائف مما تعنى كلمة حق ؟

إنى أتساءل . .

أو ليس لهذا اليوم الحق بأن يتثاءب طول الليل ؟

أو ليس لتلك القردة كل الحق بأن تتسلق شجر الغاب ؟

والحق كذلك للعليق ، وللبلاب . .

أن يتسلق فوق الأشجار

أن يمتص رحيق الأزهار

أن يحجب ضوء الشمس عن الأنظار

ويظل سؤال :

من منكم يا شطار

يقدر أن يشرح لى بالضبط.

ماذا تعنى كلمة حق . .

« ١٩٨٠ م »



حوار عبر الباب المفتوح

(١)

أحدثكم . .

وأعلم أنكم لن تفقهوا قولى ، ولكنى أحدثكم

أقول لكم :

سمعت الصوت ، يدعونى إلى داره . .

فقلت : معاذك . . أأدخل الدارا ! ! . .

ألا ، فلتغلق الأبواب فى وجهى ، فإنى الآثم العاصى .

إنى عبدك الآبق ، غلّق دونىَ البابا . .

فقال الصوت : يا مسكين ، لا تهذِ . .

تقدم وادخل الدارا ،

فإنك أطهر الأبناء ، يا مسكين : تجهل سراً مافيكا؟

تقدم واعبر الأبواب . .

(٢)

بكيت ، بكيت حتى ضجّت الأملاك

بكيت ، بكيت حتى خرّت الأفلاك

بكيت ، بكيت ، ريعت سائر الأرواح من صوتى ،

ولاذ الكون بالصّمْتِ

(٣)

أيحمل قلبك الفياض هذا الحب لى وحدى ،

ولا أدرى ؟

أتمطر أرضى القفراء مدرارًا بهذا الغيث ،

هذا الوابل المنصب كالنهر ،

وما أزجيت من شكر ؟

أتمنحنى أنا العاصى سحَائِبَ كل هذا الفضل ؟
وهأنذا ، أمسح جبهتى بالباب . .
أقبّل سائر الأعتاب

(٤)

بنىّ ، بنىّ ، ماقصّرت . .
ـ كيف ، وما أتيت إليك ؟
لا ، لم تبرح الدارا . .
ـ وكيف وما ولجتُ البابا ؟
هذا سر مافيكا . . أتجهل سر مافيكا ؟

(٥)

وحين نجوز هذا الباب ، لاموتٌ ولا أموات . .
وتخفت سائر الأصوات . .
ولايبقى سوى صوت : أنا بكمو ، وأنتم بى ،
أنا أنتم ، أنا أنتم ، أنا أنتم

سراب !

غـــدير لاح للعطشان فهـرول نحــوه ظمآن

وحـــين أتاه وا أسفاه

أدرك أنه ما كان غير سراب

سراب !

* * *

سراب كل ما قد كـــان وها أنا لم أزل ظمـــآن

فمن ذا يرشـــد الحيران إلى نبـع المنى الريان

* * *

أنا من عشت فى الصحراء مشتاقا لقطـــرة مــاء

وأقطع ألف درب من دروب التيه

لعلى أبلغ النبــع الذى أبغيــــه

وحين أراه . . وا أســـفاه

أدرك أنه ما كان غير ســراب !

* * *

قضائى أن أعيش العمر بين مجاهل الصحراء

بلا أهل ، بلا صحب ، تحرق جوفى الرمضاء

أسير أسير من درب إلى درب

وليس معى يؤانسنى سوى قلبى

وحين يرن صوت الصمت مبحوحا حوالينا

يصيح القلب يسألنى : إلى أين ؟ إلى أينا

وأسمع من بعيد صوته المنشود يدعونى

كموسيقى ترددها حناجر ألف حسون

أنا النبع الذى تبغيـــه   تقـــدم ياشريد التيـــه

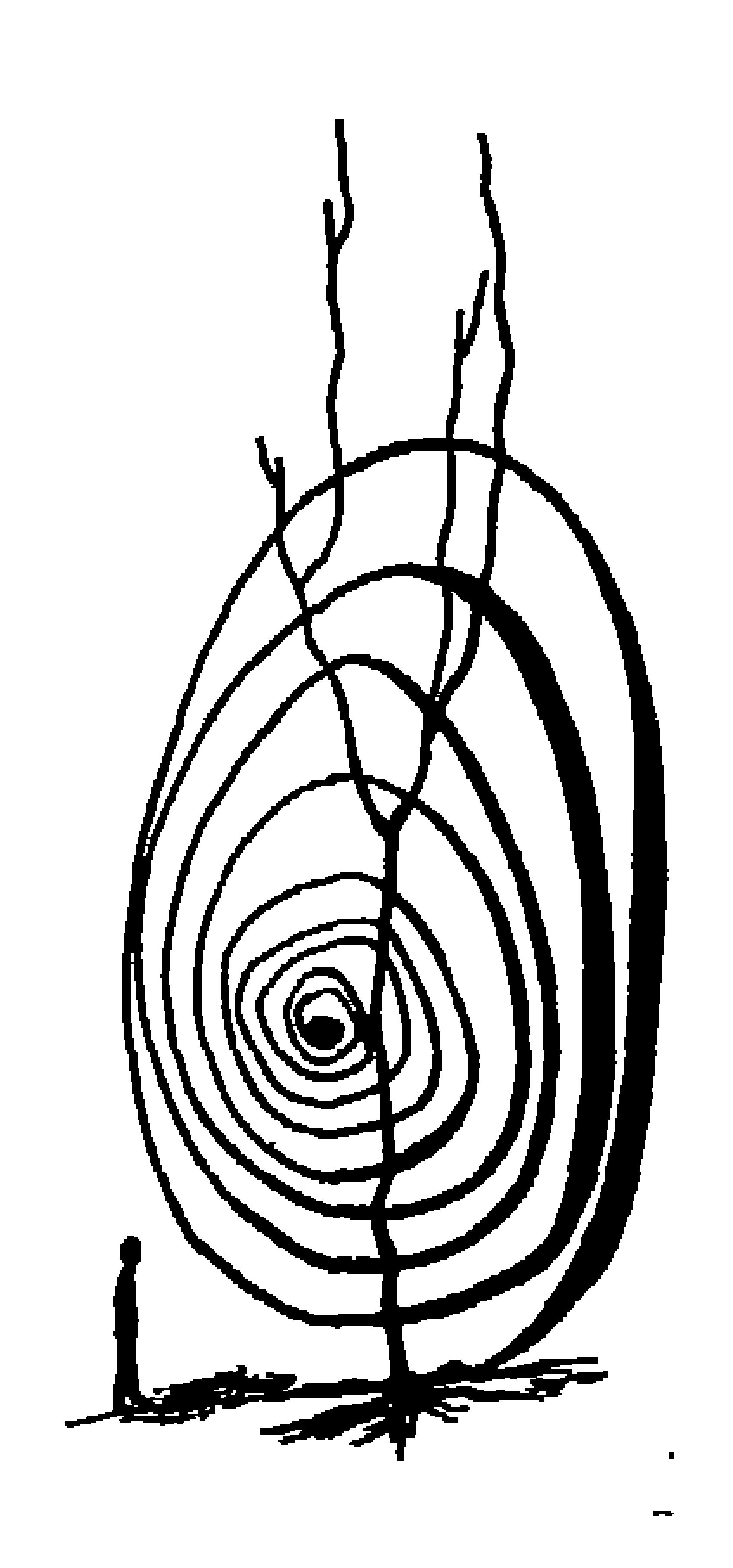
فأسرع نحو رجع صـــداه   تعـــانقنى بديع رؤاه

وحين أراه   وا أسفـــاه

أدرك أنه ما كان غير سراب

سراب

« ١٩٧٥ م »



الذئاب السود

تناوشني الذئاب السود

تطرق بابي الموصود ،

في إغفاءة الليل

تصب الهول في قلبي

تبيت تئن عند الباب

ترسل خافت الأصوات

تفزعني . .

أقول لها : « ألا انفضي ،

ألا انفضي ،

فليس هناك من أحد ،

ومن كانوا هنا رحلوا »

– « إذن من أنت ؟ »

– « إنى واحد من جملة الأشباح »

– « وأين بقية الأشباح ؟ »

– « لا أدرى ، ألا انفضى ،

ألا انفضى »

فلا تمضى ،

وتبقى عند باب البيت ،

ترسل خافت الأصوات

وحين يلوح نور الفجر ،

ترسل صرخة كبرى ،

وتمضى كى تغيب هناك ،

فى أعماق وادى الصمت

* * *

وحين يحل نفس الوقت ،

تقبل سائر الأصوات.

وتأخذ تنبش البابا . .

تغز مخالبا سوداء ، بقلب الباب

وتبعث خافت الأنات

ذئاب لونها أسود

أحس بلونها من خلف سمك الباب

ويجرى نفس ماقد دار بالأمس

حوار خافت الهمس

وحين يلوح نور الفجر

ترسل صرخة كبرى

وتمضى كى تغيب هناك

فى أعماق وادى الصمت،

متى يأتى على الليل ،

لا سهد ولا أشجان ؟

متى يأتى على الليل ،

غير مقرح الأجفان

أعانق أجمل الأحلام

متى يأتى على الليل ،

لا همس ولا ذوبان

تبيت تئن عند الباب

تغز مخالبا سوداء بقلب الباب

وتبعث خافت الأنات ؟

متى يأتى على الليل

لا قلق

لا همس

ولا أصوات

« ١٩٧٠ م »

احاديث فى الطريق

(١)

عيناك سابحتان فى الأُفق البعيد

يا فرحتى منى السلام

منى السلام إليك يا أشهى غرام

يا بهجة الأيام ، يا أملى الوحيد

* * *

(٢)

ما زلت يا ليل الشقاء ،

أبدًا تطلُّ على الوجود

وترتّل الحرمان أُغنية يرددها الخلاء

والفارغون .

فوق الرصيف يثرثرون :

« لا . . لا تحرّك بيدقك ،

« فالدور من حقى أنا »

سمراء يا أمل الشباب

« أين الشراب ،

« يا أيها الساقى الكسول ؟ »

« أغلق لنا هذا اللعين »

« لا ، دعْه يشدو ، إنه لحن جميل . .

« وكذا أنا حظى جميل .

« والفاشلون . .

« فى الحب ، حظهمو ذهب »

« إنقل فقد طاب اللعب »

[فى ليلة تسج الغرام خيوطها . .]

ويموت فى قلبى نغم . .

ويثور فى صدرى ألم . .

وأنا أسير ، بلاهدف . .

* * *

(٣)

وأنا أسير

والدرب يبدو مظلما ، رغم الضياء

مازلت ياليل الشقاء

« يأيها النجم البعيد . .

« يا عابر الأفق الجهوم . .

« عرّج على دارى ، وأبلغ مَنْ هناك . .

« من عاشق دنف سلام

« أبهى سلام

« لاتنسَ يا نجمى الوحيد . .

« يا عابر الأُفقِ البعيد

« فلربما يوماً أعود »

* * *

(٤)

ما أفدح الأعباء والآلام فى هذا الوجود

ما أكثر التعساء والجرحى وأصفاد العبيد

« حملى على كتفى ثقيل . .

« يا ظالمى ، حملى ثقيل . .

« والدهر قاس : ياحياه . .

« وأنا شربت عذابه حتى الثماله . .

« ياليل ، يا حضن العليل . .

« حملى على كتفى ثقيل

* * *

(٥)

الليل يفترش المدينه

وخلالَ أنوار الطريق الخابيات ،

تبدو الوجوه المتعبات ،

تلوح فى سحن حزينه . .

تحت الظلال الكالحات

« ما أتعس الإنسان فى ليل الشقاء . .

« ياأيها الليل الحَزين . .

«فاض الحنين . .

« وفؤاد من أهواه صخر »

[رقّ الحبيب]

ياليل ، يا مأوى الغريب . .

والمتعبين . .

* * *

(٦)

يا أيها النجم البعيد

يا جانحا نحو الأُفول

إنى أعود . .

إنى أعود تجاه منزلنا العتيق

هناك فى أقصى الطريق

والفجر يبعث فى الوجود

نفح الزنابق والورود

يافجر ، يا أمل الحيارى المتعبين

كم ذا نحن إليك فى شوق ، فيخدعنا الحنين ! .

لكنْ ، أتطلع بعد حين ؟

* * *

(٧)

والآن ، هأنذا أعود

يافتنتى : إنى أعود

عيناك سابحتان فى الأُفق البعيد

يافرحتى : منّى السلام

من عائد ، عبر الحياه ،

وسرى وساح

ليعانق الكون الجديد ، مع الصباح . .

ويبارك الفجر الوليد . .

ليبثه أحلى نشيد

« المجد للأَطفال ، والأَزهار ، والعشاقِ ، والأَزواج ،

والجيل الجديد »

منِّى السلام إليك ، ياأملى الوحيد

وعمى صباحا ، فالوجود . .

يضمُّ فى شوقٍ إليه جميع أَبناء الحياه

« ١٩٥٦ م »

من يوميات حكيم جوال

وطوفت البحار وعدت

مل المركب التطواف

جئت محملا بتجارب الأيام

من ذا يشترى الحكمة . .

من يبغى خلاصة عمرى الضائع بين البحر والأمواج . .

هأنذا أعود لكم ، وملء جرابى الحكمة . .

فمن ذا يشترى الحكمة . .

من ذا يشترى الحكمة . .

(١)

وقال الناس لى سافر ، ففى الأسفار سبع فوائد

سافرت . .

أى فوائد سبع ؟

أقول لكم . .

لقد كانت إذن خدعة ! !

لقد عدنا من الأسفار ، لم نغنم سوى الأسقام واللوعة ! !

(٢)

وقال الناس لى : سافر تجد عوضا عن الأحباب . .

عمن قد تفارقه تجد عوضا

وسافرنا

تغربنا

فلم نعثر على الأحباب

يا لله ! ! حتى من عرفناهم

فقدناهم

وكانت خدعة أخرى

(٣)

وقال الناس لى : سافر . .

فمن سافر

يشاهد فى الورى عجبا

وسافرنا . .

تغربنا

فماذا قد شهدناه ؟

قد حطت على العينين كف الحزن حتى لم نعد نبصر . .

وحطت ملء جنبينا صخور الهم ، حتى لم نعد نشعر . .

وعدنا مثلما رحنا .

وكانت خدعة أخرى . .

(٤)

وقال الناس لى : سافر

وغامر فى بلاد الله ، فتش عن كنوز الأرض . .

نقب عن مناجمها . .

وغص ، والمس الأعماق ، وابحث عن لآلئها

وسافرنا . .

وغامرنا . .

بلاد الله تحملنا .

وأرض الله تنزلنا

وفتشنا .

حفرنا الصخر ، لم نعثر على فحمه . .

نزلنا أعمق الأغوار ، لم نعثر على نجمه .

وكانت خدعة أخرى . .

(٥)

وقال الناس لى : سافر ، تزد عمراً . .

يجدد نفسه الانسان بالأسفار .

فسافرنا . .

وكان الموت بالمرصاد . .

آلافا من المرات متناها بلا معنى . .

ألاأقبح به موتا ، يكون لغير ما سبب . .

كأتفه ما يكون المرء حين يموت مغتربا ، بلامعنى . .

وعدنا ، قد فقدنا العمر ، حتى لم نعد نحيا . .

نسير وقد حملنا فى مطاوى صدرنا قبرا . .

وكانت خدعة أخرى . .

خاتمة :

وهأنذا أعود لكم . .

بغير كنوز . .

أنوء بكل ما حملت من حكمة

وهأنذا كدلال ، وقفت بباحة السوق . .

أبيع تجارب الأيام

أبيع خلاصة الحكمة . .

فمن ذا يشترى الحكمة . .

من ذا يشترى الحكمة ؟ ؟

ألا ما أرخص الحكمة ! !

ألا ما أرخص الحكمة ! !

« ١٩٧٠ »

هكذا غنى السندباد •• !!

وترجع يا سندباد . .

تطوف عبر البحار . .

فهل تهجر البحر يوما ، وتطعم خبز القرار ؟

متى ذاك يا سندباد ؟

متى ذاك يا سندباد ؟

* * *

وقالوا : « تعلمت من خوضك البحر » .

لا ، ما تعلمت غير الندم

وقالوا : « وحزت الكنوز الكبار » ،

وما حزت غير الأسى والألم . .

* * *

وقالوا : « ومن يجتز البحر يرجع بدر البحار »

أنا اجتزته

وما عدت أحمل غير خواء المحار

* * *

أقول لكم :

تغربت حتى نسيت ملامح وجهى القديم . .

تغربت حتى نسيت اسم أمى ، واسم أبى ،

وأهلى وكل الأحباء والأصدقاء

وحتى حبيبة روحى التى ذات يوم أضاءت حياتى بأبهى ضياء

نسيت اسمها

وما عدت أذكر غير التغرب عبر البحار

طوال الليالى ، وطول النهار

فيومى عذاب ، وليلى سهاد

أنا السندباد ،

أنا السندباد . .

* * *

ويمضى الزمان

وتقضى حياتك يا سندباد

فيوما على جنح رخ ، ويوما بواد يضم الأفاعى

ويوما تقاوم هوج الرياح ، بواحدة من أقاصى الجزر

ويوما تصارع موج البحار وأنت بقلب البحار

ويوما أسيرا بجب بعيد ، تفتش عن لمحة من أمل

ويوما ، ويوما ، ويوما ، ويوما ،

تعذبت يا سندباد

تعذبت حتى مللت العذاب . .

* * *

وغيرك ، حين يحل المساء ، ويأوى الرجال إلى دورهم . .

يعانق أطفاله فى حنان . .

وغيرك لما يحين الأوان ، أوان اللقاء مع الأصدقاء

يروح هناك

ليدفن أثقال يوم طويل ، مع النرد ، والشتم ،والقهقهات

وتزهو الحدائق بالعاشقين

وبين الأزاهر والياسمين

يغنى القمر . .

يقبل ثغر المساء السعيد

وأنت حزين

هناك بعيد ، بعيد . .

تعانق ليل السهاد

هناك بقلب البحار

فهل تهجر البحر يوما

وتطعم خبز القرار ؟

متى ذاك يا سندباد ؟

متى ذاك يا سندباد ؟

متى ذاك يا سندباد ؟

(١٩٦٩ م)

ثلاثة مقاطع من البحر الطويل

(١)

قضى الحُب أنْ نشقى بمـا كانَ من وجد
نقاسيه فى قُـرب ، ونصلاهُ فى بُعْدِ

ولو كان يجـدى الصبرُ كنت اتَّخذتـه
ملاذًا ، ولكن كيفَ والصبرُ لايُجدى

حسْبنا لديكم ما يَطيب لظـــامىء
فلَم نَجْترعْ غيرَ المَـدامع والسهْـدِ

وقُلنا : رياضُ العشقِ نجنى قُـطوفهـا
ونَرجعُ منهـا بالأزاهِـــرِ والوردِ

أَردْنا اجتنَــاء الشهد من حيث يُجتنى

فأُبنا بلدْغ النحل ، لا قِطَع الشــهدِ

أَردْنا ، ولكنَّ المقــاديرَ قــد رأَت

خِلاف الذى شِئناه فى الحبِّ من قصدِ

تذرَّعت حينا بالأَمــانى علَّنى

أَعودُ بمــا أَبغيه من سَـائغ الــودِّ

وقلت : أُديمُ الطرقَ علَّ الذى بــدا

مع الطَّرْقِ يَستعصى سيسْلُس من بعد

وهأَنذا والبابُ ما زالَ موصــدا

أُعانى من الأَيــام والزمنِ النَّكــدِ

وأَشربُ أَيامى عَــذابا ولَوعَــة

يُقيِّدنى يأْسِى ، ويُطلقنى وجْــدى

(٢)

إلى الحبِّ ما تدعو ، فلا تَجعلوا الدُّنى

مغارسَ أَشْــواك ، ولاتحجُبوا السَّنا

فَما يَغـرس الإِنسان فى الصبح من أَذَى

يَذُقْ منه آلاما مع السهْـد مَوهِنـا

« ومَن يلكُ ذا روْض ويبخـل بورده »

فلا أطلعت أَرض لذى البخـل سوسنا

« ومَن يجعل المعـروف فى غير أَهلِهِ »

ينل رغم ما يلقى من الهَمِّ حمـدنا

ومن عاش فى الدنيا كريمـا مُسامحـا

فياطيبَ ما يَلقىَ مع الحبِّ فى مُـنى

« إذا أَنت لم تشربْ من الحبِّ جَرعـة »

فياطول ما تظمـا ، وتَلقى مِن الضَّنَى

هو الصَّفحُ ما نرقى إلى النفسِ سلَّمًـا

هو الود جزناه إلى القَـلبِ دربَنـا

ومَن شَاء أَن يحيا عن النـاسِ مُفْـردًا

أَلا فَليْكَن وجهـا وقلبـا مغضـنا

إذن فانشُـدى يا نَفس لحن سَماحـة

وكُونى مَدى الأَيـام للحبِّ أَرغنـا

(٣)

وقفتُ أمام البابِ ، والبابُ مغلـــــق
وفى داخِلى الأشواقُ تهمى ، و تدفـــقُ
فلمَّا طَرقتُ الباب ، صاح مُلَبِّيـــــا
« من الطارق المسكينُ ؟ من ثَمَّ يطرق ؟ »
فقلت : « إمامى ، ذا فَتَـــاك إلى الحمى
يعودُ ، فهل تحنُو عليه وتُشفقُ ؟ »
« فهلَّا فتحتَ الباب ، إن لـــديكمو
منابعَ نور ، بالسماحـــةِ تعبـــق ؟ »
« فهيــا افتح البــابَ العصىَّ ، فـــاننى
إلى مُجتلى الأضــواء كَم أتشـــــوَّقُ »
« وقفت طَـــويلا فى الظـــلام مُعذبًّا
أغصُّ بدَمعى ، يا حبيبُ ، وأشرق »
وعبْر بحار الصمتِ ، أقبــلَ صـــوتُه
أشعَّةَ فجر ، فى الوجُـــود ، ترقرق

« أنا يا فتـــاىَ الغرَّ لم أكُ مغلقــــــــا
بوجهك بابى ، لا ، ولا سوف أغلقُ »

« فبابىَ مفتـــوح لكلِّ مضـــــــيع
يغـــرِّبُ فى تيــه الدجَى ويشرِّق »

« يُشرَّدُ دهرا فى الحياة ، فـــان أتَـــى
فدارىَ أفــــــراح ، وبابىَ تَشــــوُّقُ »

سباعية
شيء يغتال الأفراح

(١)

من أين يجيء ؟

الشيء الأسود ، هذا الظل الغامض ، هذا المقبل كالأشباح

يأتي ، ويعشش في الأحداق

يأتي ، ويهوم في الأعماق . .

من أين يجيء ؟

لو أعلم من أي الطرقات يهل لكنت خرجت اليه ،

ووضعت قيودا في قدميه

لأصد رؤاه عن العشاق ،

لأرد دجاه عن الأحداق ،

ليظل الحلم يغرد فى مقل الأطفال . .

ونغنى الفرحة والآمال . .

(٢)

زمرة أحباب كنا ، ما أروع أن يجتمع الأحباب

السمر الحلو ، وقهقهة الأصحاب . .

والليل الأبيض ، كان الصفو ، وكان الضحك بغير حدود

أطفالا عدنا ،ودعنا شجن الأيام ،وهم العيشة والأولاد

ونسينا ، يالله لساعة صفو واحدة ،كل عذابات الأيام ،

وكل شقاء العالم ، كل الاحباطات . .

وضحكنا ، وسط « العادة » و « المحبوسة » ،

بين زياط النرجيلات

والشاه الواقع بين الجند ، وبين وزير أرعن ،

لايحميه ، فيسقط فى بحر الضحكات . .

ويجيء ، ترى من أين يجيء ؟ فتنبت أزهار سوداء
ويخيم هذا الظل القاتم ،
يحصد كل الفرح ، وكل الضحك ، فتنتحر البسمات

(٣)

ونعود ، نجرر خطوا أثقل من كل الأحمال . .
كى نفرغ هذا الشيء الأسود فوق الزوجة والأطفال

(٤)

جلسا غردين
العمر هما ،
الفرح هما ،
زادهما البسمة والأشواق
والنشوة ترقص فى الأحداق
إلفان اعتنقا ، ذابا فى صفو الأيام
هاما فى أفق الأحلام

نسجا أعوام العمر القادم نمنمة مشرقة اللون

ثوبا للعرس ، قماط رضيع ،

سروالا لصبي مؤتلق القسمات

أغنية دافقة الإيقاع ، منسقة النغمات

ويهل الشيء ، يجيء ليئد الفرحة ، يقتل هذا الأمل الحلو

ريحا ، تذرو سحر الأيام . .

عاصفة تحصد زهر الفرح ، تقوض أعشاش الأحلام

(٥)

عادا ، والحلم المشرق يهوى من آفاقه

والظل الغامض يضحك ، يضحك من أعماقه

(٦)

يا طيرا أسود ، عشش فى أركان الأنفس ،

باض وأفرخ فى أفئدة الناس

من ذا يرديك ؟

من ذا سيصدك عن مقل الأطفال

من ذا سيردك عن مهج العشاق ؟

كي نسمر صحبة أنس ، لايفجؤنا هذا الشيء الأسود ،

هذا الظل القاتم ، هذا الشبح الشؤم

كي نجلس إلفا يهمس غنوة حب ،

في أذني محبوب يشرب من فرحة عينيه

في أذني بستان النشوة في شفتيه . .

(٧)

من أين . . يجيء ؟

المنجل ، من يحصد زهر الأيام . .

من أين يجيء ؟

المشرط ، من مزق ثوب الأحلام . .

من أين يجيء ؟

لو أعلم من أي الطرقات يهل لكنت خرجت إليه

ووضعت قيوداً في قدميه

لأصد رؤاه عن العشاق

لأرد دجاه عن الأحداق . .

ليظل الأمل يغرد في مقل الأطفال . .

ونغني الفرحة والآمال .

عن الزائر الذى لايغيب طويلا

(١)

تفجؤنى الآنْ

لا يمضى يومٌ أو يومانْ

إلا ويهلُّ سناك علىَّ ، يهلُّ علىَّ كفيضِ حنانْ

فتكون الظُلّة للحرّانْ

وتكون دثارًا للبردانْ

أو جرعة ماء للظمآنْ

وتكون اللقمة للجوعانْ

أو مخدع أمنٍ للحيرانْ

أو لمسة حبٍّ تحصد ما بذرته سويعات الحرمان

(٢)

يغلبنى يأسى حين يمرُّ علىَّ الوقتُ ولا ألقاكْ

فأظلُّ أفتّش عنك هنا وهناكْ

فى همسة طيرٍ ، رفّة غصنٍ ، بين مدارات الأفلاكْ

حتى ألقاكْ

يتبدل حالى حين أراك

تغمر فى الفرحة ، من يصنع هذا إلاّك

من يحصد شوك الحزن سواكْ

من يغرس بذر الفرح سواكْ

من تُفعمُ نفسى موسيقاه ، كما تسرى فى الروح ترانيم الأملاكْ

من يصنع بى هذا إلاّكْ ؟

(٣)

باللهِ عليك : ألا زُرْنى ، لاتخلف يوماً بميعادْ

فحلولك دارى يجعل أيامى أعيادًا تتلوها أعيادْ

تتردّد فى ردهات البيت أَناشيد الإنشادْ

يُطرح عنى ثوب الإجهادْ

يغمر روحى نور الإسعادْ

نشرق فى وجهى الأَضواء ، فيلحقنى حسد الحسادْ

ورحيلك عنى يتركنى جوّالاً سار بلا أَزوادْ

يسلبنى أَغلى شاراتى ، يحرمنى كل الأَمجادْ

يا من إشراقك يجعلنى ، وشموسَ الفرح على ميعادْ

أَقْبِلْ كى يبقى إيمانى بالناس ، بأُغنية الحبِّ ،

بالخير ، بإخصابِ البشرى ،

ياوِرْدًا فى ثغرى أَحلى ،

أَشهى من كلِّ الأَوراد

أغنية شوق صغيرة

بأشواقى ،

بلهفة حبّىَ الباقى ،

أَجىءُ إليكِ يا أملى ،

وفرحةُ هذه اللُّقيا ، تزغرد ملْءَ أحداقى

* * *

حياتى :

ليس من عمرى زمانٌ ينقضى وأنا بعيدٌ عن أحبائى

وأيامى ، هى الأَيامُ نقضيها معاً ،

لا عمرَ إلا ما صنعناه بحلو لقائنا ،

بعناق روحيْنا ،

ببسمتنا ،

بنشوتنا ،

بضحكتنا ونحن معًا ،

ونبضُ الحبِّ يسرى دفقُه فى عمق صدرينا

ألا ما أَضيع الأَيامَ ، نقضيها بلا لُقْيا ! !

* * *

ربيعى :

ما أَمرّ العيش حين نكون مفترقين ،

تفصلُ بيننا الأَبعادُ ،

سبعةُ أَبحرٍ ،

سبعٌ من الفلواتِ ،

آلافٌ من الأَميالِ ،

أَسفارٌ وأَسفارٌ ، وأَنت هناك

وأَبقى هاهنا وحدى ، وتفصل بيننا الأَبعاد

* * *

وهأنذا ،

أعود إليكِ ،

أعيدُ بناء أيامى ،

أجدِّد عمرىَ الأَفراح ، عُمْرَ العُمْرِ ،

أهجرُ عمرىَ الحرمانَ ،

أرجِّع عمرىَ العُمْرَا

أعودُ إليكِ يسبقنى لهاثُ الشوقِ ،

تزهر بسمتى ،

تتفتحّ الأَعماقُ ،

تطرح ألف زهرة حبٍّ

* * *

عيناها .. والأفراح !!

تضحك عيناها كلَّ صباحْ فتغرد فى صدرى الأَفراح
تحملنى نظرةُ عينيـــها لعوالمَ تجهلهُا الأَتراحْ
مائمـة حزنٌ يسكنهـــا مائمــة آلامٌ وجـــراحْ
لاشىءَ بها غيرُ البشــرى والفرحةُ والنغم الصداحْ

* * *

تضحك عيناها ، تضحك لى فتعطر عمرى بالأَمــلِ
يالى من ضحكةِ عينيهـــا تغرسُ فرحتهـــا بالمقــلِ
فتهيم نشاوى ، عن أثـــرٍ تتركه الضحكة لاتسلِ
تزرع فى قلبى بستانـــاً مملوءًا بالزهْر الخضـــلِ

* * *

تضحك عيناها الرائقتـــانْ - - فتهاجرُ من قلبى الأَحــزانْ

تغرس نظرتُها فى قــلبى أشجارًا وارفة الأغصــانْ
أتفيأُ ظلَّ نضارتِهــــا وأحــوِّمُ كالطير النشوانْ
وأعيشُ على أمل حلــوٍ تزرعه هاتان العينــــانْ

* * *

تضحك عيناها الساحرتانْ تأسرنى هاتان العينــانْ
من قال بأنهما عينــــانْ إنهما للحبِّ جَناحــانْ !
بهما أنساب كمثل شعاعٍ يتسلّقُ أسوار الأكــوانْ
أتجوّل كالطيف المسحورِ وأرجعُ كالأملِ الفينــانْ

* * *

تضحك عيناها ، يا للهْ ! من لم يبصرها ما أشقَاهْ !
والنورُ ترقرقه العينـــان فيغمر دنيانا بضيــاهْ ..
لولاه لأطبقت الظلمـاتُ وأعتمت الدنيا ، لولاهْ !
الله لضحكة عينيهـــا الله لسحــرهما .. الله ! ! !

* * *

المحتوى :

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٢/٥٠٢٠

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٢١ ـ ٤

لايمضي يومُ أو يومانْ

إلا ويهلُّ سناكَ عليَّ . يهلُّ عليَّ كفيض حنانْ

فتكون الظلة للحرّانْ

وتكون دثارا للبردانْ

أو جرعةَ ماءٍ للظمآنْ

وتكون اللقمة للجوعانْ

أو مخدع أمنٍ للحيرانْ

أو لمسة حبٍ تحصد مابذرته سويعات الحرمانْ

من قصيدة «عن الزائر الذى لايغيب طويلا ...»

مطابع الهيئة المصرية العا

٦٠ قرشا